

نوعية الأغلفة النفسية و الخيال الرمزي من خلال طريقة اختيار اللباس،

دراسة حالات عيادية على مجموعة من الطلبة الجامعيين

رشيد بلبسي

جامعة الجزائر 2

The quality of the psychological covers and the symbolic imagination through the method of choosing the dress

clinical cases on a group of university students

Rasheed Belbsa'i

rachidbelbes@gmail.com

University of Algeria 2

summary:

Dress is an important and broad part of the personality and the individual's life, as it represents a double-functional psychological envelope between organic and psychological protection, in addition to his symbolic and creative position, and for this his fields of science go beyond psychology to sociology and marketing techniques, as well as his fields of religion, fashion and local culture. Through daily observations, we can conclude that our Algerian society today is not as harmonious as it was for generations. The gap has widened and deepened day by day, especially when it comes to the university student segment, as they vary in their clothing between the temptations of Western fashion and religious dress or a combination of them. . In this research we will present two main axes: The first axis is to briefly touch upon some of the theoretical foundations for dealing with clothing through the psychological, social, and religious perspectives. As for the second axis, it concerns the field side in which we raise questions and put forward the hypotheses that are discussed by analyzing the data of the application side of fifteen university students, using the semi-directed clinical interview, the Rorschach test, and the AT9 technique.

Keywords: clothing, psychic envelope, symbolic and creative imagination, research hypotheses, projective tests.

ملخص :

يشكل اللباس جزء هام وواسع من الشخصية و حياة الفرد، فهو يمثل غلاف نفسي مزدوج الوظيفة بين الحماية العضوية و النفسية، زيادة عن وظيفته الرمزية و الإبداعية، ولهذا تتعدى ميادينه من علم النفس إلى علم الاجتماع و تقنيات التسويق، كما تتعدى أيضا مجالاته إلى الدين و الموضة و الثقافة المحلية. فمن خلال الملاحظات اليومية يمكننا أن نستنتج أن مجتمعنا الجزائري اليوم ليس كثير الإنسجام مثلما كان عليه منذ أجيال، فالهوة أخذت بالإتساع و التعمق يوما بعد يوم، خاصة عندما يتعلق الأمر بشريحة الطلبة الجامعيين فهم يتنوعون في لباسهم بين إغراءات الموضة الغربية و اللباس الديني أو المزج بينهما. سنقدم في هذا البحث محورين أساسيين؛ يتمثل المحور الأول في التطرق باختصار لبعض الأسس النظرية الخاصة بتناول اللباس عبر المنظور النفسي، الاجتماعي، الديني. أما المحور الثاني فإنه يخص الجانب الميداني الذي نطرح فيه التساؤلات مع طرح الفرضيات التي يتم مناقشتها عبر تحليل معطيات الجانب التطبيقي لخمس عشرة طالب جامعي، باستخدام المقابلة العيادية النصف موجهة، راتز الرورشاخ، و تقنية AT9.

الكلمات المفتاحية: اللباس ، غلاف نفسي، الخيال الرمزي و الإبداعي، فرضيات البحث، اختبارات اسقاطية.

مقدمة

يعرف العالم المعاصر اليوم تطور او نمو حركي دينامي مستمر وسريع في كل مظاهر الحياة، مما لم يسبق له مثيل من قبل، الثورة العلمية التقنية و الإعلامية، منجزات الإنسان الحديثة والصناعية، لتناقضات الحضارة و عواقبها الاجتماعية المذهلة، السوق العالمية ومدى تأثيرها على الإنتشار الواسع لمختلف السلع و العلامات المسجلة... إلخ، كل هذا أدى إلى تنوع الرؤى حول فلسفة الحياة. فقد أصبح إنسان اليوم يركز إهتمامه أكثر حول البحث عن طرق جديدة لتحسين مستواه المعيشي، بعدما إقتنع بضرورة الإعتناء بنفسه وجسده ومظهره العام، سواءا تعلق الأمر بمسكنه أو بيئته الطبيعية، محيطه الإجتماعي أو صحته العامة... إلخ. و هكذا زادت حاجة الإنسان إلى تولي الإهتمام و الاعتناء بالمظهر الخارجي يأخذ شيئاً فشيئاً ميزته الخاصة في حياته اليومية المعاصرة، إذ أضحت الصورة و الشكل الذي يود أن يقدم أو يعرف بها أحد ما نفسه للأخريين شغله الشاغل أينما وجد.

إذن سعي الإنسان في المجتمع المعاصر للاهتمام بذاته وجسده، من خلال إعطاءه أهمية مركزية لسلوكات الشكلية و المظهرية. خاصة بعد تطور علوم الطب والصناعة والتكنولوجيا، فبرزت عنده الحاجة أكثر نحو تحسين ظروف العيش و التمتع بحياته، ومن مظاهر هذا الإهتمام بالصورة الخارجية والشكل الذي يميل في كثير من الأحيان إلى الغلو، لاقتناء ألبسة معينة تتناسبه، سواء كانت محلية، موضة غربية أو دينية... إلخ.

وقد يعود الشأن في هذا الإهتمام الكبير بالجسد خصوصاً المظهر الخارجي واللباس إلى الإنتشار السريع والمذهل لأشكال الموضات الجديدة من جهة، وتزامناً مع تناقص دور هيمنة السلطة الدينية المطلقة في توجيه الشؤون الإجتماعية (كدور الكنيسة و المسجد مثلاً) من جهة أخرى، ولعل ذلك أن الناس أصبحوا اليوم أكثر حرية مما كانوا عليه في السابق، فصاروا الآن يهتمون بأجسادهم عن قرب أكثر فأكثر، بعدما تضاعلت تدريجياً إلزامية المؤسسات؛ سواء الدينية أو الأخلاقية التي تفرض المزيد من القيود والمحظورات أو الموانع من خلال توجيهات دينية وأخلاقية صارمة، بالإضافة إلى ضغوطات الوالدين والمجتمع في تحديد أنماط معيشية معينة، فليرجع الجسد بعدها مصدراً للخطيئة و العار، بل على العكس من ذلك، فقد أضحت شيئاً فشيئاً، رمز من رموز التعبير الحر عن الذات والإنتماء الثقافي. لكن مع هذا فإن التظاهرات الدينية لم تفقد وزنها التقليدي المعتبر، فعودة اللباس الديني و إنتشاره على المدى الواسع لدى بعض الناس خير دليل على ذلك، ففي المجتمع الجزائري مثلاً، بالخصوص عندما يتعلق الأمر بالطلبة الجامعيين، الذين هم أكثر عرضة للتيارات الفكرية الدينية والعصرية في آن واحد، سواء فيما يتعلق بتأثرهم تارة بلباس الموضة أو بمختلف أشكال اللباس الإسلامي من جلباب و قميص نصف الساق... إلخ، أو تارة أخرى بالجمع بينهما أي المزج بين الموضة و الدين.

إن كل هذه العوامل المذكورة جعلت من اللباس مؤهلاً ليثير إهتمام العديد من المختصين خاصة النفسانيين والاجتماعيين على حد سواء، فلا شك أنهما شديدي الإهتمام لما يحدث للفرد والمجتمع من تغيرات وتطورات فاتحة مجال البحث في هذا الميدان، الذي عمل على إثراء التوجهات النظرية و التطبيقية لدى الباحثين في جميع الميادين العلمية و التخصصات، بالخصوص ميدان التحليل النفسي، حتى أضحت على أنه من الممكن تعريف علم النفس المعاصر على أنه متوجه شيء فشيئاً نحو سيكولوجية الجسد و المظهر.

سنقدم في هذا البحث محورين أساسيين؛ يتمثل المحور الأول في التطرق باختصار لبعض الأسس النظرية الخاصة بتناول اللباس عبر المنظور النفسي، الاجتماعي، الديني. أما المحور الثاني فإنه يخص الجانب الميداني الذي نطرح فيه التساؤلات مع طرح الفرضيات التي يتم مناقشتها عن طريق تحليل معطيات الجانب التطبيقي.

سيكون تركيزنا أكثر في هذا البحث الخاص بموضوع اللباس على الجانب النفسي، و ذلك يعود لطبيعة إختصاصنا المتمثل في مجال علم النفس العيادي.

المحور الأول: بعض المفاهيم النظرية الأساسية حول اللباس

I. اللباس في منظور علم النفس

1. اللباس و الغلاف النفسي والجسدي

يشكل اللباس وحده جزء هام و أساسي من حياة الشخص، ومن بين المظاهر الخارجية الأكثر قوة وحضورا. فهو يعطي دلالة خاصة للجسد و الذات، فبمجرد إرتباط الجسد به تتكشف لنا من خلاله دلالات عديدة، فيواسطة اللباس على سبيل المثال، نستطيع أن نحكم على الفرد من زاوية الهوية الجنسية على أنه ذكر أو أنثى، وعلى الكيفية التي يعلن الفرد من خلالها عن تواجده وتمايزه عن الآخرين، وتصوره للعالم أو بمعنى آخر فهو جزء من تكوين شخصيته، وشكل من أشكال التعبير عن هويته. (GRIGNON. G.L, 2002, P 21).

يمكن تعريف اللباس في ميدان التحليل النفسي حسب مصطلحات أنزيو. د، في هذا الصدد، بالرجوع إلى معطياته النظرية حول الأنا الجسدي و الغلاف النفسي، إذ يقول في هذا السياق كون أن اللباس يمثل: **أولاً:** "غلاف" (conteneur) للجسد، مزدوج الوظيفة- بين الداخل و الخارج فهو في نفس الوقت يضمن الحماية العضوية للجلد ضد الاثرات الخارجية من جهة، كما يضمن أيضا الحفاظ على توازن حرارة الجسم الداخلية من جهة أخرى.

ثانيا: "حاوي" (contenant) للجسد، يمكنه أن يخفي أو يكشف مضامين المحتويات الداخلية المتعلقة بإيقاظ و إشباع نزوة الفضول نحو إستكشاف الاختلافات الجنسية للطرفين. فهو مثلما يحمل في طياته معالم الشدة و المتانة، القوة، الرجولة، يحمل أيضا معالم اللطف و النعومة، المرونة، الجمال الذي يثيره الجسد و الجنس الأنثوي. (ANZIEU. D, et all, 1993, p. 37- 38)

فطلاقا من المظاهر النفسية و الجنسية التي ذكرها أنزيو. د، وفي تركيزه على الأهمية الكبيرة للجسد في حياتنا النفسية و العضوية، يبرز لنا بسرعة سر قوة إرتباط اللباس بالجسد، و المكانة التي يحتلها في النفس، و يتضح لنا بسهولة فهم تطور و تعدد أشكاله و أصنافه التي نشاهدها اليوم، حيث أصبح اللباس يشكل لوحده مجالا إقتصاديا، صناعيا، حضاريا وثقافيا ضخما، سواء من حيث القمة في التجديد و الحداثة، الإبداع، التنوع و الأصالة، بعدما كان في الماضي ينحصر عموما في نوع واحد فقط تفرضه التقاليد و العادات أو سلطة معينة.

إضافة إلى أعمال أنزيو. د، فقد حاول بعض المحللين النفسانيين الآخرين توسيع مفهوم اللباس، باعتباره من المكونات الأساسية للصورة الجسدية و صورة الذات، يرى في هذا الصدد شيلدر. ب. ، أن اللباس عبارة عن امتداد للصورة الجسدية، ليقول في هذا الصدد أنه: "بمجرد ارتداء ثياب ما، فإنه يندمج مباشرة مع الصورة الجسدية للفرد، ويمتلئ بذلك بالليبدو و النرجسية" (SCHILDER. P, 1968, p. 220).

2. اللباس والخيال الرمزي : يلعب الخيال الرمزي في اختيار نمط لباس معين دورا هاما، لا يستهان به، خاصة عندما يتعلق الأمر بميدان الخيال الإبداعي. إذ يساهم بصورة كبيرة في إعداد و اختيار الأشكال و التصاميم المناسبة و المتنوعة لمختلف أنواع الألبسة المستحدثة، على حسب الذوق، الميول و الرغبات، وكذلك حسب التوجهات الفكرية و الثقافية التي يتبناها لأفراد و المجتمعات، و سواء تعلق الأمر بالطابع الفولكلوري المحلي و التقليدي أو الغربي أو الديني أو بالمزج بين هذه الطبوع فيما بينها. فقدراد إذن الإهتمام أكثر فأكثر بإستحداث صناعة و تصميم الأقمشة خصوصا بعد الإنتشار الواسع لوسائل الإتصال التكنولوجية الحديثة، كالأنترنك و مجلات الموضة، و القنوات الإعلامية المتخصصة، مع تطوير تقنيات الإشهار و التسويق... إلخ، حيث أثر ذلك على توسع الخيال لدى الزبائن و تفننهم في الإبتداء و المزج بين مختلف الألبسة المتوفرة في الأسواق العالمية أو المحلية، مع تزويدهم بفرص إشباع المرتبط بظهور الأصناف الجديدة المبتدعة.

و"الخيال" كما عرّفه ديران. إ، على أنه "يشمل جميع الحقل الأنتروبولوجي للصورة، و الذي يمتد من دون تمييز بين ما هو لاشعوري إلى ما هو شعوري، من الحلم والهوام إلى المبني و الفكر، و باختصار من اللاعقلاني إلى ما هو عقلاني". (DURAND. Y, 1988, P.15).

فالخيال، يشغل حيزا كبيرا في النشاط العقلي لحياة الأطفال والراشدين على حد سواء. فالإنسان أثناء عملية التخيل يستعين بالذاكرة، فهي تزوده بالصور الذهنية لأشياء واقعية، ولكنه يركب منها مركبات لا وجود لها في الواقع. فالخيال إذن، ليس مجرد نقل للصورة إلى الذهن من الواقع، بل يستغل أيضا عناصر هذا الواقع في إبداع شئ لا وجود له على هذا النحو. فعلى الرغم من أنه يستمد مادته من الواقع، إلا أنه متحرر من قيوده. (المليجي. ع/م، المليجي. ح، 1972، ص202 203 205).

وعملة التخيل بحد ذاتها، هي فعل إرادي وشعوري، يقوم بها شخص ما وفق متطلباته ورغباته الشخصية، لكن العناصر المكونة لهذا الخيال، أي مضامينه ومحتوياته ذو دلالة لاشعورية، عميقة، لا يمكن أن يعيها الفرد بسهولة. وبذلك يعتبر اللباس مؤشرا قويا للدلالة والتعبير عن أنماط السلوكيات المظهرية وعن طرق التواصل الرمزية. وبالتالي فلأشكال والصور المتعددة و المختلفة للتمثيلات الثقافية، الرمزية، الإبداعية، الفكرية، الحضارية، الاجتماعية، الدينية، الاقتصادية و الصناعية، خير دليل لتفسير تعقد موضوع اللباس وضرورة دمج الطرح النفسي بالاجتماعي و الأنتروبولوجي في هذا المجال، فهو يلخص لنا رموز العلاقات التي تربط الأفراد والمجتمعات بشعائرهم الدينية وعباداتهم الطقوسية من خلال نمط وشكل اللباس الخاص بكل فرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب، كما أنه وسيلة للتعبير عن الإلتزام الثقافي، الإجتماعي و الإقتصادي، إذ أن لكل مجتمع له نمط من اللباس خاص به سواء كان تقليدي أم عصري أو بالمزج بينهما. ومنه توجب علينا التطرق فيما يلي لتناول موضوع اللباس عبر المنظور الاجتماعي.

II. اللباس في منظور علم الاجتماع : بالرغم من أن الفرد البالغ، الراشد، يختار بكل حرية ما يريد أن يلبسه، حيث يلعب لديه العامل الذاتي في إقتناء ألبسة معينة حسب ذوقه الخاص وما يراه مناسباً له دوراً أولياً، ومع ذلك فإنه من الصعب في الكثير من الأحيان، فصل اللباس عن إطاره الاجتماعي، سواء من حيث أهمية تأثير التقليد، المحاكاة، البيئة أو دور التنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها الفاعلة: التربوية، الأخلاقية، الأسرية والدينية... إلخ، في التأثير على عملية إختيار اللباس، إذ هو في أول الأمر شعار أو علامة خاصة تتخذها جماعة ما أو فئة من الفئات للتعبير عن نفسها، وفي هذا الصدد يقول بارث. ر، في كون أن "اللباس في نفس الوقت هو موضوع تاريخي وسوسيولوجي، إذ يعتبر ضمناً دال خاص على مدلول عام (عصر، بلد، طبقة إجتماعية)". (BARTHE. R, 1957, p. 4).

فأهم ما يميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات هو تميزه الثقافي وطابعه الخاص وكل ما يحمله من بعد حضاري، تضبطه تقاليد وقيم تجعله لا يشابه غيره و أي تغير فكري أو ثقافي في المجتمع سينعكس حتما على مظهر الرجل و المرأة على حد سواء.

لكن ما يجب الإشارة و التنبيه إليه، هو أن تفسير اللباس من وجهة النظر الاجتماعية غير كافي في التعرف على دور الدينامية اللاشعورية المتعلقة بالجسد و الذات لدى الفرد. لهذا فإنه لا يمكن عزل اللباس عن بناء و تركيب الشخصية، كما لا يمكن إهمال دور السيكولوجية العلائقية و المجتمع. وإن كان اللباس تعبير دينامي لاشعوري للربغبات و النزوات المكتوبة و عن طبائع الأفراد وهوياتهم من جهة، فهو من جهة أخرى ناتج عن التصورات التي يحدثها المحيط الثقافي و الإجتماعي من خلال إستغلال المعطيات التي يوفرها التوظيف النفسي و الخيال الإبداعي لكل فرد منا.

في نفس الإطار نجد الموضة التي تلعب هي أيضا دورا كبيرا في توجيه الميول نحو الألبسة المستحدثة، والتي هي مرتبطة بالتركيبة النفسية للفرد مع تأثير الجانب الاجتماعي.

• **اللباس و الموضة:** تعد موضة اللباس من أكثر الموضات انتشاراً وأكثرها تقلباً، فما أن تظهر صيحة جديدة حتى تأخذ مكانها صيحة أخرى بسبب العدوى التي ترافقها. (عين المرة. ف، 2007، ص70).

وإن للنزوات الجنسية دوراً أساسياً في نظام تصوراتنا ولا شعورنا، إذ حاول بعض المحللين النفسانيين ربط ظاهرة لباس الموضة بالإثارة الجنسية وركزوا اهتمامهم خاصة على موضات اللباس المتعلقة بالجسد الأنثوي ودوره في توجيه سلوك الأفراد منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا. ونستعين بالذكر بكل من فولجال، ج. ك و ليشيوني أ.ل (1983)، وغيرهم، ممن يؤكدون على تأثير العامل الجنسي في توجيه الموضة.

وترتبط الموضة ارتباطاً شديداً بالحياة العصرية الحديثة والمعقدة التي رافقتها تجمع السكان في المدن الكبرى، حيث يهتم أكثر فأكثر بحياتهم الجنسية، فظهرت الحاجة لديهم للاعتناء بالجسد، واللباس مما أدى إلى تغير الحياة الاجتماعية، فازداد بذلك الميل إلى اقتناء كل ما هو جديد.

فتميزت بذلك الموضة عند الطبقات الراقية، الميسورة الحال وذات المكانة المرموقة في المجتمع، والتي كثير ما يميل أصحابها إلى خلق أساليب جديدة تميزهم عن غيرهم، سواء في اللباس و في آداب اللياقة أو في مجال التسلية و الفنون، لأن "الموضة ترتبط عادة بنفقات باهظة لا يقدر عليها عامة الناس، بل تخص الطبقة التي تستهلك النوعية الرفيعة، و كل ما يتعلق بالأناقة والرفاهية في الحياة" (VANIER H. 1960, p. 26).

و أخيراً تُعتبر فئة الشباب الجامعي أكثر عرضة للتيارات الدينية والموضة العالمية بحكم موضعهم العلمي والاجتماعي الهام، وهذا بالإضافة إلى الدور الذي يلعبه الفضاء الجامعي في تشجيع الشباب لإتباع آخر صيحات الموضة، من خلال التقليد، و الإعلام، حيث يتفنون ويتباهون في تقديم آخر الموديلات والنماذج الجديدة للألبسة الشرقية والغربية، على أنه النموذج الأرقى والأمثل في الأناقة والجمال و التمدن.

III . اللباس في منظور الشريعة الإسلامية: بالإضافة إلى أهمية العاملين النفسي والاجتماعي في تحديد أشكال اللباس المتنوعة، فإنه من جهة أخرى، يلعب النموذج الديني دوراً مركزياً لا يمكن أن ينكره أي ملاحظ، فالدين: ينظم حياة الأفراد، ويربطهم عاطفياً بشعائرهم الدينية، ويكاد يكون عند البعض المنهج الوحيد والنهائي لحياتهم، تصرفاتهم، سلوكياتهم وحتى في إختيارهم للباس.

وفي الواقع، لكل ديانة، شرائعها، فلسفتها ومناهجها، وفي هذا الصدد فإن الدين المتبني لدى أغلبية المجتمع الجزائري، هو الدين الإسلامي، والذي يسعى بدوره إلى الحفاظ على فرض القيم الدينية والأخلاقية على أعضائه وتنظيم العلاقات الاجتماعية ككل، ويعمل جاهداً لسد باب التغيرو والتجديد بحجة لا بدعة في الدين، وينهي عن مخالفة أوامر الشرع وارتكاب نواهيه، محدداً بذلك السلوكات التي يجب للمسلم أن ينتهجها في حياته بدقة متناهية، وفق ما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية.

فيما يخص اللباس في الإسلام، فهو فطرة إنسانية و إلزام رباتي، يدخل ضمن مبدأ ستر العورة، إذ فيه نهى صريح للميل نحو العري و قطع الطريق أمامه، لقوله تعالى في صريح الآية ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً﴾ (القرآن الكريم، سورة الأعراف. الآية 26).

فيما يخص لباس المرأة المسلمة، يقول ناصر الدين الألباني في أحد فتاواه وهو من أحد كبار العلماء المعاصرين المتخصصين في السنة النبوية و الإفتاء، يقول: فمن الواجب على المرأة البالغة أن تحجب نفسها عن ما يثير الغريزة والتهيج الجنسي الذي يؤدي إلى الفساد والإحلال الخلقي، ويشترط على لباس المرأة المسلمة إذن في وجوب استعابه لجميع أعضاء البدن ما عدا الوجه و الكفين. (الألباني. م.ن. د. ط، 3، 1969، ص15).

أما فيما يخص لباس الرجال فهو داخل في ضرورة الإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم، و الحث على مخالفة الكفار و المشركين في نوع و طريقة لباسهم الخاص بهم، و عملا بقوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيرا﴾ (القرآن الكريم، سورة الأحزاب. الآية 21).

المحور الثاني: الجانب الميداني من البحث

طرح إشكالية البحث: إذن انطلاقا من كل ما سبق، فقد ساعدنا اللباس على فهمنا للفرد من حيث بنيته الشخصية السوية والمرضية، هويته الجنسية و تركيبته الإجتماعية، توجهاته الثقافية و الإقتصادية، في التعرف على السير النفسي و الدينامي للطلاب الجامعي بواسطة تقنية المقابلة العيادية النصف موجهة، حيث أعطت لنا فكرة عن كيفية نظرتة لنفسه و للعالم الخارجي. كما دلنا اللباس على نوعية غلافه النفسي عن طريق استعمال اختبار الروشاخ، ليكون إما غلafa هشاش سهل الاختراق أو صلب صعب للاختراق أي حاجر للاتصال أو متين أي لا نفاذيو لا صلب تماما، وقد ساعدنا أيضا في التعرف عن كيفية تسيير الطالب للصراعات التي تحيها الوضعية الإسقاطية لرائز (AT9) من خلال القدرة أو العجز عن إدماج الواقع الإدراكي و الخيالي في السير العام للشخصية عن طريق الرسم.

مما سبق تبادر لنا طرح التساؤلات التالية:

1 ما هي نوعية الدينامية النفسية الشعورية و اللاشعورية التي جعلت من الطالب الجامعي يختار لباس معين؟ سواء كان هذا اللباس ديني، موضحة غربية، أو المزج بينهما؟

2 ما هي طبيعة الغلاف النفسي و الخيال الرمزي عبر نوع اللباس الذي يرتديه الطالب الجامعي الجزائري؟

باتخاذ هذه الإشكالية منطلقا لبحثنا و بالاستناد على المعطيات النظرية التحليلية؛ خصوصا على أعمال أنزيو. د. حول الغلاف النفسي و أعمال ديران. إ. حول الخيال الرمزي و الإبداع و ملاحظتنا الميدانية خلال مرحلة ما قبل التحقيق، حاولنا صياغة الفرضيتين التاليتين :

الفرضية الأولى : تتمثل الدينامية النفسية الشعورية و اللاشعورية في اختيار الطالب الجامعي للباس معين سواء كان ديني، الموضحة أو المزج بينهما، حيث تتميز كل فئة من الطلبة كما يلي:

أ فبالنسبة لفئة الطلبة ذوي اللباس الديني ، ينجحون باختيارهم هذا في التخفيف إلى حد ما من حدة الصراع النفسي أمام إشكالية الإختيارات، من خلال الريح الثانوي الذي يحققه لهم التوجه الديني من هدوء نفسي نسبي و حماية من قسوة حياتهم الإجتماعية، إلا أنهم يضحون بأنفسهم بالتفوق في نموذج واحد و وحيد يجعلهم بعيدين عن متطلبات الحياة العصرية، فيتميزون بالجمود في النشاط الإجتماعي و الثقافي، وهم بذلك أكثر عرضة للإكتئاب كلما اقتربوا من الإفتتاح نحو الحياة و التمتع بمظاهرها الدنيوية.

ب و بالنسبة لفئة الطلبة ذوي لباس الموضحة الغربية ينجحون في التخفيف من وطأة الصراع النفسي لكن خارج الإطار الذي يمنحه الدين، فهم يعلقون آمالهم في الحياة و يجعلون لها معنى و مغزى من خلال النشاطات الإجتماعية و الثقافية المتعددة (رياضة، فن، موسيقى، علم...إلخ)، وهم بذلك أكثر دينامية، لكن هذا مرهون بالبحث عن فرص تضمن لهم نجاح نسبي في الحياة.

ج أما بالنسبة لفئة الطلبة ذوي اللباس الذي يجمع بين اللباس الديني و الموضحة الغربية، هناك حدة في الصراع النفسي و تأزم في الهوية الثقافية و الإجتماعية و فشل في اختبار الإختيارات للألبسة، نتيجة الوقوع في الخط بين توجهات الحياة المتناقضة، مع أنها تتميز هي أيضا بالدينامية و النشاط المزدوج بين الحياة العصرية و الدينية، لكنها أكثر عرضة للإضطراب في الهوية.

الفرضية الثانية : عبر طريقة اللباس، تتحدد طبيعة الغلاف النفسي و الخيال الرمزي كما يلي؛

ف إما صلبا وقويا، أي على شكل حاجز سطحي صلب، مانع و حائل الفرد والعالم الخارجي، معرض للاختناق في صورة غلاف مغلق بدون مسامات من جهة. ومن جهة أخرى يلجئ الفرد إلى الخيال الرمزي و الإبداعي من أجل التخفيف من وطأة الإنغلاق و الجمود من خلال فتح مجال للخيال الديني في إشباع الرغبات المكبوتة.

ب أو يشكل غلافا نفسيا حاجزا دفاعيا هشاً وضعيفاً، أي نفاذي (مفرد المسامات)، وسهل الإختراق، في صورة غلاف مفتوح بدون حماية يعرض النفسية دائما إلى خطر الإختراق من جهة.

ومن جهة أخرى يشكل الخيال الرمزي والإبداعي تعويضا لهذه الهشاشة حيث يلجئ إليه الطالب لسد هذه الثغرات.

ج أو متينا أي لا صلب تماما و لا نفاذي تماما، حيث نتوقع متانة حواجز الاتصال، مرونة المرور للتصورات من الداخل إلى الخارج و من الخارج إلى الداخل، كما يمكن أن يكون هذا الغلاف المتين من حين لآخر مؤشرا على التذبذب والتناقض و الميل المبهمل للقيم و الهوية الجنسية و الثقافية من جهة. ومن جهة أخرى سيكون الخيال الرمزي و الإبداعي محاولة لتجاوز هذا الصراع و التخفيف من حدته.

سنحاول فيما يلي و باختصار تقديم الجانب المنهجي للبحث من أجل مناقشة الفرضيات ؛

مجموعة البحث : تم انتقاء مجموعة البحث بالاعتماد على متغير واحد أساسي والمتمثل في "اللباس"، الذي خص ثلاث أنواع- إسلامي شرعي، موضة غربية، المزج بين اللباس الإسلامي الشرعي و الموضة الغربية لتتقسم حينئذ عينة البحث إلى ثلاث مجموعات متكافئة العدد، حيث تشمل العينة الكلية (15) طالب جامعي من مختلف التخصصات العلمية و البيئة الاجتماعية و التوجهات الفكرية على النحو التالي:

المجموعة الأولى: ذكور و إناث المتمثلين في لباس إسلامي شرعي.

المجموعة الثانية: ذكور و إناث المتمثلين في لباس موضة غربية.

المجموعة الثالثة: ذكور و إناث يمزجون بين اللباسين أي الإسلامي الشرعي و الموضة.

المنهج المتبع في البحث: إعتمدنا في بحثنا على المنهج العيادي الذي يهدف إلى معرفة خصائص و أنماط السير النفسية للأفراد من خلال رؤية شاملة و متكاملة، و ذلك تبعا لخصوصية كل طالب جامعي من خلال التحليل النوعي و الكمي لإنتاجه الإسقاطي الذي يدلنا عن بعض محتويات اللاشعور، وكذلك من حيث طبيعة غلافه النفسي و خياله الرمزي إنطلاقا من نوع اللباس الذي يرتديه كل طالب على حدى.

أدوات البحث: حاولنا في دراستنا الحالية استعمال ثلاث أدوات بحث عيادية ؛ واحدة منها تتمثل في تقنية "المقابلة العيادية" و أداتان عياديتان إسقاطيتان متمثلتان في "رائز بقع الحبر" (رورشاخ) و "اختبار أنتروبولوجي ذي (9) عناصر" (AT9). سنحاول فيما يلي تعريف كل تقنية ، بطريقة موجزة؛

• **المقابلة العيادية النصف موجهة:** ساعدتنا محاور المقابلة النصف موجهة- بعد تعديلها و تنقيحها عبر قيامنا بالمرحلة الاستطلاعية لما قبل التحقيق ، و بعد قبول المبحوث مشاركته في هذا البحث، من فهم سيرورة الطالب الجامعي و تحليل ديناميكيته النفسية الشعورية و اللاشعورية و تصوراتها للعالم الخارجي و موقفه منه.

• **رائز الرورشاخ:** اعتمدنا على رائز الرورشاخ لمساهمته الكبيرة في إمكانية التعرف على الدينامكية الشخصية بأبعادها المختلفة، فقد أعطى لنا صورة دقيقة عن التنظيم العقلي لدى الفرد، كما ساعدنا في التعرف على نوعية الغلاف النفسي والجسدي لدى الطالب الجامعي.

• **اختبار أنتروبولوجي ذو تسعة عناصر (AT 9) :** ساعدنا هذا الإختبار الإسقاطي، من خلال صبغته وجودته الأنتروبولوجية الأصلية التي يتميز بها على دراسة الخيال إستنادا على مفهومي الخيال الرمزي و الإبداعي، وقد سمح لنا بالنتيجه و التعرف على طريقة تسيير الواقع الإدراكي و الخيالي من خلال الرسم المنجز من طرف الطالب الجامعي.

ملخص نتائج البحث: سنعمد فيما يلي على الفرضيتان المنصوص عليهما من قبل، حيث سنقوم بمناقشة كل فرضية على حدة؛

• **الفرضية الأولى:** قد أسفرت نتائج المقابلة وتحليل الاختبارين الإسقاطيين على وجود فروق نوعية بين الفئات الثلاثة؛ قد كانت إذن نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة ذوي اللباس الإسلامي سواء كانوا ذكورا أو إناث، ذات محتوى فقير و إجابات قصيرة و محدودة، يعاني فيها الطالب المبحوث من الكف النفسي والفكري معا، حيث يغلب على حوارهم طول فترات الصمت وإختصار الكلام وإكتفائهم باللجوء للمرجعية الدينية في نظرتهم للحياة والعالم، ومع كل موقف يتخذه الطالب، كما لاحظنا على مدار محاور المقابلة كون أن تصورات اللباس، وإختيار أنواع الألبسة لا يكاد يخرج عن الدائرة التي وضعها الدين وكأننا أمام أشخاص ذوي امتثال عالي للمتطلبات الدينية دون وجود أي أثر للحياة الهوامية الداخلية، و لهذا فقد تميزت فئة الطلبة ذوي اللباس الديني بمحدودية الاختيارات من خلال ركود و جمود نفسي مع غياب الدينامية وضيق المجال العلائقي وتجنب الدخول في صراع مع الذات والقيم الدينية و الاجتماعية، باصطناع نموذج و مرجع ديني صارم وواقفي أمام كل تيارات التغيير و الموضة و الخوف من التفتح على مجالات الحياة.

دلت نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة ذوي لباس الموضة الغربية عن تعدد معايير اختيارهم للباس، وذلك فإن هذه الفئة بالمقارنة مع الفئة الأولى، فإنها تتمتع بقسط كبير من الحرية في إختيار اللباس، ومناهج الحياة والثقافية المختلفة، إذ هي لا تنحصر في معيار واحد في إختياراتها، بل تتوع في إقتناء أشكال الألبسة المتنوعة حسب المناسبات. لكن مع هذا فقد كانت مشاعر الذنب في بعض الأحيان قوية عندما يحاول الطالب الارتباط بالتصورات الدينية حيث تتجلى مظاهر الخوف من العقاب واللعنة من الله من جهة و من المجتمع من جهة أخرى، لذا فهو يحاول تجنب هذه التصورات مقابل الاستثمار في النشاطات الفنية، الثقافية، الاجتماعية، الرياضية و الهوايات... الخ، التي تسطر فعالية ميكانيزم التسامي. كما سطرنا أيضا فاعلية هيئة الأنا الأعلى الذي يقوم بدور الرقابة و التأنيب، و الذي يحل محل الشعور الديني، فيغلب على هذه الفئة الصراع النفسي بين القيم الدينية الإسلامية والثقافة الغربية اللاتينية، لكن هذا الصراع لا يصل إلى درجة القوة والشدة ليجعل الطالب يشكو من اضطراب في الهوية أو اضطراب في واقعه الاجتماعي، مع ميله نحو التفتح البناء و الثري مع رفض الانغلاق و التقوقع.

دلت نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة التي تمزج بين الدين والموضة على مدى تأثير الميول الفردية والإجتماعية والإقتصادية و الجمالية والدينية، كلها تمثل مصادر لإختيار اللباس، إلا أن هذه الفئة تميزت بنوع من والتذبذب في الآراء والمواقف، إلى حد التناقض بين المظهر والاعتقاد، مما يمكن أن يدل على مدى تخبط هذه الفئة في حدة الصراع النفسي الداخلي التي تُثيرها إشكالية الإختيارات والتوفيق بين الميل نحو التحديث و العصرية وبين الحفاظ على الهوية الإسلامية وطقوسها اللباسية، فهي تعيش في واقع نفسي يسوده الخلط ومظاهر القلق مع اضطراب في أنظمة القيم والهوية الثقافية و الدينية، مما يغلب على الطالب اللاإستقرارية، ودوامة التغيير الغير منظم، حيث تُسيره الأحداث مُتخذًا نحوها مواقف متناقضة.

• **الفرضية الثانية:** فقد كانت إذن نتائج الرورشاخ لدى فئة الطلبة ذوي اللباس الإسلامي على بروز لمشاعر جسد مُدُنَّب غلاف المعاناة (إغراء بالإخفاء من خلال إعطاء دلالة للآخر في صورة نقاء روحي وجسدي) و بالتالي يستدعي ذلك حماية الجسد من قوة النزوة الجنسية الداخلية باصطناع قماش يقوم بوظيفة الغطاء للجسم، حيث لا يضيف هذا الغطاء طباعا جنسيا. إذ يمثل دفاعا قويا وصلبا (Défense rigide) بغرض الحماية من هشاشة الغلاف النفسي والحدود الجسدية. إذ يشكل غلافا صلبا، صعب الاختراق يعززه لباس من النوع (المغلق) كحاجز إتصال بين الذات والعالم الخارجي... الخ، و مع هذا، فمن الممكن في بعض الأحيان أن لا يضمن الحماية الكافية من النزوات الجنسية الجامحة، مما يُسبب إختناق

وكف نفسي (Inhibition)، ومما يوحي كذلك إلى سوء تقدير المبحوث لصورته الجسدية وجعلها مصدرا للخطيئة، و القلق والاكنتاب، من خلال تقليص العلاقات الإنسانية و تجنب الاختلاط الجنسي.

أما فيما يخص نتائج رايتر (AT9) لدى نفس الفئة، فقد كانت نوعا ما أكثر ثراء مقارنة مع نتائج الرورشاخ. ليشكل الخيال الرمزي والإبداعي مسرحا مناسباً، لفئة اللباس الديني حيث يلجئ إليه الطالب لإشباع ميوله بإستثمار العالم الروحاني والمشاهد الدينية التي نجدها متوفرة بكثرة في هذا الرايتر من خلال رمزية الغار، السيف، النار، الماء... إلخ. مقابل الإدراكات العقلية. ولهذا فقد كان اللجوء إلى الخيال الديني كتعويض عن الكبت النفسي و الجنسي.

دللت نتائج الرورشاخ لدى فئة الطلبة ذوي لباس الموضة الغربية، من حيث أنها تميزت بالافتح نحو العالم الخارجي مع بناء مُوحد للصورة الجسدية، مع اكتمال صورة الذات والاهتمام بالحياة العلائقية وبالعالم الداخلي والخارجي معا، لكن طبيعة الحدود النفسية والجسدية تميزت هي الأخرى بالهشاشة وسهولة الإختراق، خاصة أن بعض المبحوثين لم يستثمروا مجالاً فعالاً في حياتهم كتعويض للمواضيع المفقودة. ولهذا فإن كان الغلاف النفسي متيناً ظاهرياً، لكنه ضعيف من حيث وظيفته لضمان الحماية الكافية من الصدمات و أزمات الحياة، وقد كان يتخذ لدى البعض منهم شكل تعويض عن البرودة الجنسية من خلال اصطناع قناع التحضر و التمدن.

أما فيما يخص نتائج رايتر (AT9) لدى نفس الفئة، جاءت هي الأخرى ثرية و غنية، و هي تشكل وسيلة دفاعية ضد مشاعر الذنب، فقد كان الخيال الذي أنتجته الوضعية الإسقاطية من خلال عناصر رايتر (AT9)، تعويضاً عن الثغرات التي ظهرت في رايتر الرورشاخ، من خلال التركيز على الشرح المكثف لهذه العناصر، و بالتالي محاولة ناجحة في تجاوز مشاعر الخوف و الذنب باللجوء للخيال الإبداعي والفني.

فيما يخص فئة الطلبة ذوي اللباس الذي يمزج بين الإسلامي و الموضة، يمثل شكل احتدام الصراع بين القيم الدينية والأخلاقية والنزوات الجنسية، فكان الحل حينها السعي في إرضاء الطرفين أي محاولة التسوية بين الطرفين لما هو ديني والموضة معا. لذلك فهو يمثل ظاهرياً غلاف متين ولكنه هش لا يضمن الحماية الكافية.

أما فيما يخص نتائج رايتر (AT9) لدى نفس الفئة، فقد كان اللجوء إلى الخيال الرمزي والإبداعي وسيلة فعالة للتخفيف من حدة الصراع التي يعاني منها أصحاب هذه الفئة، و بالتالي فقد حاولت التعويض من مشاعر الذنب تجاه الموقف الديني المتذبذب، من خلال إنتاج خيالي ثري و غني نسبياً، مما يتيح للطالب الإمكانية و القدرة على التخفيف من حدة الصراع و ووطأته مع التحقيق النسبي للأمن والاستقرار الداخلي.

خلاصة

كلما تعقد المجتمع، كلما زادت المظاهر المرضية فيه و كلما اشتد شعور الأفراد بالحاجة الملحة في مساعدتهم لفهم أنفسهم فهما صحيحاً من أجل التوافق و التكيف على المستوى الداخلي و الخارجي. فالمجتمعات الحديثة متقدمة كانت أو نامية معرضة بشكل مباشر أو غير مباشر للظروف و العوامل المسببة للاضطراب النفسي، مثل الضغوط الاجتماعية والمعيشية، التغيير السريع للقيم وتناقضها، التمزق، الوحدة والضياع، كل ذلك قد يدفع الكثيرين إلى الاستجابة لهذه العوامل إستجابة غير ملائمة أو بالأحرى غير تكيفية، فيسقطون في دائرة المعاناة النفسية، حينئذ يستعير الشخص خصائص و سلوكيات بعيدة عن ذاته على شكل الظهور بأقنعة مزيفة أو التميز بغلاف نفسي هش.

تبين لنا من خلال دراستنا أن الاختلاف في اللباس يؤدي إلى إختلاف في الآراء تبعاً للرمزية الثقافية والعقائدية التي يمكن أن يحملها نمط معين من اللباس. كما استنتجنا أن الشريحة الطلابية تتخبط بين نوعين من المعاناة؛ إما جمود و صلابة أو قلق و صراع، لذلك فقد باتت عملية الاختيار الألبسة، اختباراً صعباً بالنسبة للفئات الثلاثة؛ لأن ما تتطلبه هذه العملية من نضج نفسي وفكري و حل للصراعات الطفولية القديمة كلها خصائص يفتقد إليها أفراد مجموعة بحثنا، مما

قد يؤثر سلبيا على معاشهم النفسي ونوعية أغلفتهم النفسية والجسدية، وقد يمس لدى البعض الآخر خيالهم الرمزي و الإبداعي بالكف والفقر في الإنتاج الخيالي.

وخلاصة القول، هو أنّ هذه الدراسة حول لباس الطالب الجزائري أكدت فرضيات بحثنا، لكن هذا لا يعني أنها ليست عرضة للنقد، لأن نتائج أي بحث علمي تبقى نسبية، غير ثابتة ومطلقة نظرا للحجم الصغير لمجموعة البحث المدروسة، التي لا تمثل المجموعة الأم أي كل الطلبة الجزائريين.

كما يمكن أن تفتح هذه الدراسة المجال لدراسات لاحقة حول نفس الموضوع، أو حول موضوع أعمق، حيث يبقى من الممكن التعمق أكثر في دراستنا هاته، و ذلك انطلاقا من نفس المجموعة المعتمدة في البحث، للتعرف على التغيير الإجتماعي وصداه النفسي على إختيارات الطلبة الجامعيين بعد الأزمة السياسية في الجزائر من 1992 إلى يومنا هذا ، و بالتالي يشكل ذلك موضوعا آخر للدراسة.

قائمة المراجع باللغة العربية

- 1 القرآن الكريم.
- 2 الألباني. م.ن.د. (1969). حجاب المرأة المسلمة في الكتاب و السنة. الجزائر: المكتب الإسلامي للطباعة و النشر.
- 3 فتيحة، ع.م. (2007). لباس الفتاة الجزائرية. دراسة ميدانية في وسط طالبات جامعة سعد دحلب. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة البليدة، الجزائر.
- 4 المليجي. ع/م، المليجي. ح. (1972). النمو النفسي. لبنان، بيروت: دار النهضة العربية، للطباعة و النشر.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- 5- Anzieu, D. , et all. (1993). Les contenants de pensée. Paris : Dunod.
- 6-Barthe, R. (1957). Histoire et sociologie du vêtement. Annales quelques observations sociologiques, N° 3,3-10.
- 7- Durand, Y. (1988).l'exploration de l'imaginaire. Paris : bibliothèque de l'imaginaire.
- 8- Grignon, J.L. (2002). La chirurgie esthétique. Paris : Robert Laffont.
- 9- Luccioni , E.L. (1983). La robe, essai psychanalytique sur le vêtement. Paris : Seuil.
- 10- Reuchlin, M. (1996). Introduction à la recherche en psychologie. Paris : Nathan Université.
- 11- Schilder, P. (1968). L'image du corps. Paris : Gallimard.
- 12- Vanier, H.(1960) . La mode et ses matières. Paris : Armond Colin.